LSE Middle East Centre

KUWAIT PROGRAMME

بيئات الانتماء والإقصاء في المناطق الحضرية في الكويت

نحو نهج تصميم حضري تشاركي

نازانين شاهروكني
سبيروس سوفوس

مركز الشرق الأوسط | تموز / يوليو 2024

LSE Middle East Centre

KUWAIT PROGRAMME

بيئات الانتماء والإقصاء في المناطق الحضرية في الكويت: نحو نهج تصميم حضري تشاركي

نازانين شاهروكني و سبيروس سوفوس

مركز الشرق الأوسط

تموز / يوليو 2024

تم نشر هذا التقرير باللغة الإنجليزية في تشرين الأول / أكتوبر 2023

عن مركز الشرق الأوسط

يعتمد مركز الشرق الأوسط على علاقة كلية لندن للاقتصاد و العلوم الاجتماعية الطويلة مع المنطقة، ويوفر محوراً مركزياً لمجموعة واسعة من البحوث حول الشرق الأوسط.

يهدف المركز إلى تعزيز التفاهم وتطوير البحوث الدقيقة حول المجتمعات والاقتصادات و الأنظمة السياسية والعلاقات الدولية في المنطقة. ويشجع المركز كلا من المعرفة المتخصصة والفهم العام لهذا المجال الحيوي. للمركز قوة بارزة في البحوث المتعددة التخصصات والخبرات الإقليمية. باعتبارها من رواد العلوم الاجتماعية في العالم. تضم كلية لندن للاقتصاد أقسام تغطي جميع فروع العلوم الاجتماعية. يستخدم المركز هذه الخبرة لتعزيز البحوث المبتكرة والتدريب على المنطقة.

عن برنامج الكويت

يعد برنامج الكويت منصة رائدة عالمياً للأبحاث والخبرات ذات الصلة بالكويت، كما يعد القناة الرئيسية التي يتم من خلالها تنسيق و تعزيز و ترويج الأبحاث التي تتناول الكويت في جامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. يتولى إدارة هذا البرنامج البروفيسور المتخصص في شؤون الكويت توبي دودج، ويتخذ البرنامج مركز الشرق الأوسط في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية مقراً له

KFAS
مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
Kuwait Foundation for the Advancement of Sciences

يتم تمويل برنامج الكويت من قبل مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

عن المؤلّفين

نازانين شاهروكني هي أستاذة مشاركة في كلية الدراسات الدولية بجامعة سيمون فريزر في كندا. حتى شهر آب/أغسطس 2023، كانت أستاذةً مشاركة في النوع الاجتماعي (الجندر) والعولمة في قسم دراسات النوع الاجتماعي في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. حصلت على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة كاليفورنيا في بيركلي. تتمحور أعمالها البحثية حول مجالات تتداخل فيها الجغرافيا النسوية، والنوع الاجتماعي والعولمة، وسياسات النوع الاجتماعي، وإثنوغرافيا الدولة في إيران والشرق الأوسط وما وراءهما. بالإضافة إلى كتابها الحائز على جوائز" المرأة في مكانها: سياسة الفصل بين الجنسين في إيران" *Women in Place: The Politics of Gender Segregation in Iran* (دار نشر جامعة كاليفورنيا، 2020)، نُشرت أعمالها في عدة مجلات ودوريات، منها:

- مجلة الإنسانية *Humanity Journal*
- مجلة العولمة *Globalizations*
- مجلة الدراسات النسوية *Feminist Studies*
- مجلة الإثنوغرافيا المعاصرة *Journal of Contemporary Ethnography*
- مجلة دراسات المرأة في الشرق الأوسط *Journal of Middle East Women's Studies*
- مجلة علم الاجتماع الحالي *Current Sociology*

سبيروس سوفوس أستاذ مساعد في قسم العلوم الإنسانية العالمية بجامعة سيمون فريزر في كندا، وهو زميل أول زائر في مركز الشرق الأوسط بكلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. نشر العديد من الأبحاث حول سياسات منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجنوب شرق أوروبا، إضافةً إلى الشعبوية وحقوق الإنسان والنزاعات والاستقطاب في هذه المناطق. تشمل مؤلفاته:

- السياسة التركية و"الشعب": التعبئة الجماهيرية والشعبوية" (دار نشر جامعة إدنبره، 2022) *Turkish Politics and 'The People': Mass Mobilisation and Populism*
- "الإسلام في أوروبا: الأماكن العامة والشبكات المدنية" (مع روزا تساجاروسيانو، دار نشر بالغريف، 2013) *Islam in Europe: Public Spaces and Civic Networks*
- كتاب" عذابات التاريخ: القومية في اليونان وتركيا" (مع أوموت أوزكيرملي، دار نشر هيرست ودار نشر جامعة أكسفورد، 2008) *Tormented by History: Nationalism in Greece and Turkey*

وهو عضو في فريق أبحاث الشرق الأوسط التابع لـ" بيس ريب" (وهو اتحاد من المؤسسات البحثية والمنظمات غير الحكومية وفرق البحث المحلية بقيادة كلية الحقوق بجامعة إدنبره)، إضافةً إلى أنه يقوم بتحرير مشروع #RethinkingPopulism.

الموجز

ارتبط تطور التجمعات الحضرية في مدينة الكويت - التي يسكنها ثلاثة ملايين نسمة، والذين يشكلون 71.2% من سكان البلاد – باكتشاف النفط في عام 1938. وبما أن المواطنة أصبحت المفتاح للاستفادة من الثروة النفطية في الكويت، تم ابتكار نظام تفاضلي معقد للإدماج والإقصاء لتحديد هوية مستحقي تلك الثروة ونوع الاستحقاق وحجمه.

أتاحت الثروة النفطية في الكويت لحكّام الإمارة الموارد اللازمة لتحويل قلعة الكويت إلى مركز إداري وتجاري حديث، إلا أن الخطط الجديدة للمدينة أخفقت إخفاقاً كبيراً في تحقيق المساواة والإنصاف. وبدلاً من ذلك، تم تطعيم الطابع الهرمي والانقسامات الموجودة في الكويت في مساحتها الحضرية، حيث تمّ تقسيم التوسع العمراني الذي حلّ محلّ قلعة الكويت إلى مناطق عززت حدودها الانقسامات الاجتماعية والطبقية والعرقية وتلك المتعلقة بالنوع الاجتماعي (الجندر). وأصبحت مجالات السكن والتنقل والترفيه والعمل في المدينة أجزاء متداخلة في شبكة معقدة من الإقصاء والإدماج.

تعتمد هذه الورقة البحثية على نتائج مشروع استمر لمدة عام حول بيئات الإدماج والإقصاء في المناطق الحضرية في الكويت وتأثيرها على الإدارة الحضرية الشاملة والفعالة.

المقدمة

كانت الكويت من أوائل دول الخليج التي أعدت ووافقت على المخطط الرئيسي لعاصمتها في عام 1952.[1] كانت القلعة في الأصل مستوطنة صغيرة لصيد الأسماك والغوص بحثاً عن اللؤلؤ، وقد كافحت لتأمين مساحة كافية لاستضافة المؤسسات المالية والخدمية التي اجتذبها اكتشاف النفط في عام 1938. ولم تكن لديها القدرة على إيواء الوافدين القادمين للعمل في قطاع الصناعات لاستخراج المواد الهيدروكربونية والقطاع الخدمي، والذين ازدادت أعدادهم من حوالي 31% من السكان في عام 1956 [2] إلى 70% في عام 2022.[3] وإلى جانب تلك المخاوف العملية، كان هناك طموح للانعتاق من الماضي المتواضع للكويت والتحول إلى مركز إداري وتجاري حديث، مما يبرز ثقة ومكانة الكويت في المنطقة.[4]

لقد تعاملت عملية تقديم المناقصة والمهندسين المعماريين الذين تم اختيارهم للمخطط الرئيسي مع مفهوم التخطيط الحضري باعتباره ممارسة غير إقليمية ومنفصلة عن السياقات الاجتماعية التي تسعى إلى التأثير عليها. هذا وكان المخطط الرئيسي نتاج عمل مجموعة من الفرق ليست على دراية بالكويت، واعتمدت على القليل من البيانات والحد الأدنى من التواصل مع السكان المحليين.[5] استند ملخصهم على إعادة بناء المشهد الحضري بصورة جذرية من خلال هدم القلعة القديمة وإنشاء مركز إداري ومالي جديد، إضافةً إلى نقل سكان المدن إلى الضواحي. وقد أدى نقل سكان القلعة إلى ضواحي جديدة إلى تدمير الأحياء كبيئات مكانية واجتماعية والمساحات والمؤسسات العامة التي كانت أمكنة يجتمع فيها الكويتيون ويتواصلون ويتبادلون وجهات النظر. كان يُفهم من فكرة التخطيط الحضري على أنه 'البناء من أجل' السكان وليس 'البناء بالتعاون مع' المجتمع المحلي، وعلى قاعدة أنّ المدينة مجرد مشهد وليست نظام بيئي واجتماعي واقتصادي وسياسي معقد.

وبحلول عام 1961، تضاعف عدد سكان الكويت، الذين كان يعيش معظمهم في المناطق الحضرية في مدينة الكويت، ثلاث مرات ليصل إلى 322 ألف نسمة مقارنةً بـ 110 آلاف في عام 1950. ثم جرى في عامي 1970 و1997 تنفيذ مخططين رئيسيين آخرين.[6] أدى التركيز المستمر على المشاريع الكبيرة والواضحة والمدهشة إلى الابتعاد كثيراً عن الواقع والتجربة الحية للمدينة. يُذكر أنه لم يتم فعل سوى القليل جداً لإنشاء بيئة حضرية صالحة للعيش ومستدامة ولدمج السكان فيها، الأمر الذي لم يراع وجودهم التصميم الأصلي للمدينة.

[1] Edward Nilsson, 'Urban Memory and Preservation in Kuwait: A Case Study of Souk Al Wataniya', *Presentation at Society of Architectural Historians Conference* (2017), p. 2.

[2] 'Population of Kuwait', Kuwait Government Online. Available at: https://e.gov.kw/sites/kgoenglish/Pages/Visitors/AboutKuwait/KuwaitAtaGlanePopulation.aspx (accessed 3 October 2023).

[3] 'Kuwait City, Kuwait Metro Area Population', *Macrotrends*. Available at: https://www.macrotrends.net/cities/21769/kuwait-city/population (accessed 3 October 2023).

[4] Farah al-Nakib, 'Kuwait's Modern Spectacle: Oil Wealth and the Making of a New Capital City, 1950–90', *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East* 33/1 (2013), pp. 7–25.

[5] Stephen Gardiner and Ian Cook, *Kuwait: The Making of a City* (Harlow: Longman, 1983), p. 34; Sharifah Alshalfan, 'The Aftermath of a Masterplan for Kuwait: An Exploration of the Forces that Shape Kuwait City', *Monografías Coleccion Monografías CIDOB* (2018) .

[6] تم اقتراح نظام النقل الجماعي لأول مرة في المخطط الرئيسي الثاني، انظر كولن بوكانان وشركاه، خطة للكويت (لندن، 1970)، كما تمت إعادة النظر فيه بعد إجراء مراجعة للمخطط الرئيسي، انظر كولن بوكانان والمجموعة الهندسية الكويتية، مراجعة المخطط الرئيسي الثالث للكويت (الكويت، 2005)، إضافةً إلى المخطط الرئيسي للنقل العام في الكويت، انظر المخطط الرئيسي للنقل العام في الكويت (ملخص تنفيذي، 2010). وقد ركز هذا على تحسين وسائل النقل العام وسهولة المشي في المدينة ولكن لم يتم تنفيذه.

تعتمد هذه الورقة البحثية على نتائج مشروع استمر لعام حول بيئات الإدماج والإقصاء في المناطق الحضرية في الكويت وتأثيرها على الإدارة الحضرية الشاملة والفعالة. وهي تهدف إلى تحقيق ما يلي:

أ. إعادة تشكيل الرواية الرسمية والاهتمام بها والتي تقوم عليها تنمية المنطقة الحضرية في الكويت.

ب. تقديم خريطة مقتضبة وسريعة حول الطرق المختلفة التي يعيشها سكان المدينة في مدينة الكويت.

ج. استكشاف ممارسات المطالبة بـ"الحق في المدينة".[7]

د. طرح قضية التصميم المشترك وصنع السياسات التشاركية في التخطيط الحضري من خلال اقتراح جملة من التوصيات الملموسة.

المنهجية

تعتمد هذه الورقة البحثية على بيانات مستمدة من بحوث نوعية، بما فيها عدد من الزيارات الميدانية وأنشطة المراقبة التي أجريت في شهري حزيران/يونيو وتموز/يوليو 2022، إضافةً إلى أربعين مقابلة. تم إجراء زيارات ميدانية إلى أجزاء من المناطق الحضرية في مدينة الكويت للاطلاع على البيئة الحضرية والتفاعل مع السكان والمشاركة في الأنشطة المحلية. كما أتاحت هذه الزيارات التعرّف على طرق مختلفة للتنقل والتفاعل في رحاب المدينة.

تعتمد هذه الورقة البحثية على التخطيط الحضري، والتقارير المتعلقة بالبيئة والنقل، والبيانات الخاصة بالتركيبة السكانية لدولة الكويت ومناطقها الحضرية. تم جمع هذه الوثائق الرسمية والبيانات الإحصائية باستخدام أدوات البحث المكتبي من خلال الهيئة العامة للمعلومات المدنية (PACI) والهيئة العامة للبيئة (EPA).

هذا وتم إجراء أربعين مقابلة شبه منظمة مع سياسيين وناشطين وخبراء أكاديميين، ثم جرى استكمالها بمحادثات غير منظمة أكثر إيجازاً مع سكان المناطق الحضرية في مدينة الكويت، بمن فيهم المواطنين غير الكويتيين (البدون والعمال الوافدون)، في الفترة من نيسان/أبريل وحتى بداية آب/أغسطس 2022. وكان من بين من حاورناهم، على وجه التحديد

- ثلاثة سياسيين، أحدهم اعتزل العمل السياسي.
- عشرة أكاديميين من أصحاب الخبرة في الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري والتنوع والفنون والإدماج، من ضمنهم ثمانية لهم مشاركات أخرى في أشكال مختلفة من النشاط الحضري والإدماج.
- عشرة من العاملين والناشطين في المجتمع المدني، الذين يركزون في أعمالهم على قضايا الإعاقة والإقصاء الاجتماعي وحقوق البدون والعمال الوافدين.
- خمسة رواد أعمال اجتماعيين يركزون في أعمالهم على الشمولية والحوار، وتخضير المساحات الحضرية المشتركة، وتطوير الأسواق الجديدة، والحفاظ على الذاكرة ومراعاة الرؤية الحضرية.
- خمسة متطوعين في المشاريع المجتمعية.
- سبعة عمال وافدين، خمسة منهم يعملون في قطاع الخدمات (الضيافة والنقل) واثنان من المهنيين من ذوي الرتب المتوسطة إلى العالية.

[7] تم اقتراح نظام النقل الجماعي لأول مرة في المخطط الرئيسي الثاني، انظر كولن بوكانان وشركاه، خطة للكويت (لندن، 1970)، كما تمت إعادة النظر بالنظام بعد إجراء مراجعة للمخطط الرئيسي، انظر كولن بوكانان والمجموعة الهندسية الكويتية، مراجعة المخطط الرئيسي الثالث للكويت (الكويت، 2005)، إضافةً إلى المخطط الرئيسي للنقل العام في الكويت، انظر المخطط الرئيسي للنقل العام في الكويت (ملخص تنفيذي، 2010). وقد ركز هذا على تحسين وسائل النقل العام وسهولة المشي في المدينة ولكن لم يتم تنفيذه.

ثمانية ممن أُجريت معهم المقابلات هم من المغتربين من جنوب وشرق آسيا، واثنان ينتميان إلى مجتمع البدون، وثلاثين كويتياً (أحدهم مجنّس). لا تمثل هذه القائمة سكان الكويت، وهي لا تسعى لتكون كذلك. وقد تمّ اختيار محاورينا بسبب خبراتهم، في حين تم الاتصال بعدد قليل لتقديم فكرةٍ أفضل عن شرائح معينة من السكان والحياة في المدينة. وكانت الغاية من المقابلات الوقوف على المشكلات والاطلاع على الإجراءات التي يستهدفها النشاط المدني فيما يتعلق بالحياة الحضرية في الكويت وما هي الطموحات.

إنتاج البيانات وتحليلها

تمكنّا بفضل البحث والتحليل النوعي، وهما سمتان أساسيتان في تصميم بحثنا، من تحديد المواضيع الرئيسية في فهم محاورينا وتجربتهم في المناطق الحضرية بمدينة الكويت. ومن خلال تحليل حوارنا معهم وملاحظاتنا، ظهرت ثلاثة مواضيع: (1)صنع المكان في المدينة، (2) إعادة تخضير المدينة، (3) استعادة التواصل الاجتماعي في المدينة، وهو ما انعكس أيضاً في توصياتنا بشأن استراتيجيات التصميم التشاركي الفعالة لإعادة وضع تصوّر للمدينة.

التحديات

فضّل العديد ممن شملتهم المقابلات عدم الكشف عن هويتهم، أو طلبوا منا التعامل مع مقابلاتهم على أنها" غير رسمية"، في حين أراد بعضهم التأكد من أن إجاباتهم لن يتم تسجيلها. غالباً ما قوبلت محاولاتنا للتواصل مع العمال الوافدين غير المَهرة بالتوجّس والتخوّف من جانبهم، وهو ما انعكس في قلّة عدد المشاركين من هذه الفئة الديموغرافية مقارنةً بحجمها الفعلي في المدينة. وغالباً ما ارتبطت طلبات عدم الكشف عن الهوية أو إجراء مقابلات غير رسمية أو رفض التحدث معنا ارتباطاً صريحاً بنظام الهجرة التقييدي، والانقسام بين المواطنين والمقيمين عديمي الجنسية والعمال الوافدين، فضلاً عن الهشاشة والتمييز اللذان يشكلان معاناة للعمال الوافدين. كانت محادثاتنا القصيرة مع العمال الوافدين مشوبة بالتوتر والخوف، مما يشير إلى أن الشعور بانعدام الأمان يمنع أكبر شريحة من السكان من الشعور بالأمان و"الانتماء" في الكويت، دولةً ومدينةً. هذا الخوف وعدم الثقة، كما سنبيّن لاحقاً، يقفان في طريق تطوير استراتيجيات أكثر شمولاً للتخطيط الحضري.

البيئة الاجتماعية في مدينة الكويت

التواجد في المدينة

فشلت المخططات الرئيسية المتعاقبة، إلى جانب انفصالها عن الظروف المحلية وابتعادها عن تبنّي الحلول المراعية للجانبين الاجتماعي والتاريخي، في توقع نمط النمو السكاني وحجم التنمية في الكويت. أكدت المدينة التي تصوّرها المخططون على التسلسلات الهرمية الاجتماعية من جديد وعززت حالة التقسيم، والتي اكتسبت أهميةً متجددة في ضوء سياسات إعادة التوزيع التي تنتهجها الدولة بفضل ثروتها النفطية. أبقت الضواحي السكنية سكان المدينة بعيداً عن البدو، المنحدرين من أصول بدوية.[8] وهكذا حملت جنسية البدو" الأقل درجةً وشأناً" شكلاً من أشكال التمييز المكاني. فعلى عكس السكان الحضر الذين استقروا في المناطق النموذجية (الضواحي السكنية الداخلية النموذجية)، تم نقل البدو إلى مساكن دون المستوى ومكتظة ومؤقتة حتى أوائل الثمانينات، ثم تم نقلهم إلى مساكن متواضعة الحجم في المناطق الخارجية البعيدة عن مركز المدينة وخدماتها الإدارية والتي تفتقر لوسائل الراحة.

[8] امتلك السكان الحضر وضعاً موثوقاً في تملك الأراضي، وضمنوا الحصول على الجنسية والاستفادة من خدمات الرعاية الاجتماعية، بينما يحمل البدو مُواطَنة من الدرجة الثانية.

الشكل 1: مدينة الكويت: الانقسامات الاجتماعية والفصل المكاني

المصدر: بيانات حول سكان الكويت قام بجمعها المؤلفان من الهيئة العامة للمعلومات المدنية بالكويت، والبوابة الإلكترونية الرسمية لدولة الكويت
https://e.gov.kw/sites/kgoenglish/Pages/Visitors/AboutKuwait/KuwaitAtaGlanePopulation.aspx
بالإضافة إلى شعبة السكان التابعة لإدارة الأمم المتحدة للشؤون الاقتصادية والاجتماعية: مدينة الكويت؛ سكان المناطق الحضرية بالكويت
https://www.macrotrends.net/cities/21769/kuwait-city/population

بعيداً عن هذا التقسيم، لم يتم القيام بالكثير لاستيعاب مجتمع البدون سريع التوسع وعديم الجنسية، والذين خاضوا صراعاتٍ طويلة لإثبات حقهم في الجنسية وكانوا موضع شك وعدم ثقة من قبل السلطات. وبصرف النظر عن عدم السماح لهم بتملك العقارات، أو الحصول على التعليم المجاني، أصبح البدون خارجين من الناحية المكانية، وتم نفيهم إلى مستوطنات في ضواحي مدينة الكويت مثل تيماء في الجهراء والصليبية والأحمدي.[9] فكانوا يقيمون في مستوطنات مؤقتة أو شعبية، وهي مساكن تم بناؤها في الأصل كمساكن مؤقتة للبدو قبل انتقالهم إلى الضواحي الخارجية. أصبحت المناطق التي يقطنها معظم البدون في الكويت والبالغ عددهم 100 ألف نسمة في الآونة الأخيرة مركزاً للاحتجاجات نتيجةً لحرمانهم من الحقوق التي يتمتع بها المواطنون، كالرعاية الصحية والتعليم والخدمات الأساسية المجانية.[10]

[9] Claire Beaugrand, 'Urban Margins in Kuwait and Bahrain: Decay, Dispossession and Politicization', *City* 18/6 (2014).

[10] 'Kuwait Bidoon', *Minority Rights Home*. Available at: https://minorityrights.org/minorities/bidoon/ (accessed 3 October 2023).

لكن الانقسام الأكثر حدة يفصل بين المواطنين والعمال الوافدين – وغالبيتهم من أصحاب الأجور المنخفضة – ويعملون في صناعة النفط ومجال البناء والخدمات والقطاعات المحلية.[11] ومن بين 1.77 مليون مغترب مقيم، أكثر من 50%، أي حوالي 845 ألفاً، إما أُميون أو أكملوا التعليم الأساسي وذلك على النقيض من القوى العاملة الصغيرة ذات التعليم العالي والتي تنحدر من البلدان المتقدمة وتشغل مناصب مرغوبة وعالية الدخل في مجالات الرعاية الصحية والأعمال التجارية والمالية.[12] ظلت الحكومات المتعاقبة وفي تجاهل تام لاعتماد الكويت على مساهمة العمالة الوافدة تنظر للوافدين بوصفهم يشكلون تهديداً ديموغرافياً، وتعهدت بتقليل أعدادهم.[13] ومع أن مدينة الكويت بناها الوافدون ولهم الفضل الأكبر في النشاط الذي تشهده، ظلّت حياتُهم عرضةً للتقييدات التي تحدّ من الحريات الأساسية، ومنها الحاجة لوجود كفيل كويتي لضمان استمرارية عيشهم وعملهم في البلاد.[14] هذا ويُعتبر الوافدون قابلين للاستهلاك والاستبدال،[15] ويتم التشهير بهم في وسائل الإعلام الكويتية بحجّة افتقارهم للتعليم و"ثقافتهم الصحية المحدودة"، ناهيك عن" افتقارهم إلى التواصل المباشر مع عموم المجتمع الكويتي"، الأمر الذي يجري بأمر وتصميم من جانب السلطات، مما جعلهم هدفاً مباشراً لخطاب" الكويتيين"، وبالتالي زيادة تهميشهم.[16]

وينعكس تهميشهم في سياسات وممارسات الفصل المكاني، التي غالباً ما تكون ذات طابع يتعلق بالنوع الاجتماعي (الجندر)، إذ يعيش الكثير من العمال الذكور في مساكن مؤقتة بالقرب من مواقع العمل أو في مناطق سكنية عالية الكثافة في مساكن ضيقة مستأجرة بضواحي حَولي والسالمية.[17] وغالباً ما تستهدفهم الإجراءات الحكومية، على غرار حملة" كن مطمئناً" التي انطلقت في عام 2019 واستهدفت ترحيل الوافدين الذكور غير المتزوجين أو ممن ليس لديهم مرافقون أو ممن يُسمّون" العُزّاب" من المناطق السكنية، الأمر الذي ترك العديد من الأشخاص بلا مأوى.[18] ومن ناحية أخرى، تعاني الوافدات في غالب الأحيان، ولا سيّما اللواتي يعملن في الشؤون المنزلية، من العزلة وتقييد الحركة، وحتى الأذى الجسدي، ويبقين فعلياً في المنزل في ظلّ قدر قليل جداً من الحماية والدعم باستثناء ما يقدمه الناشطون والمنظمات المحلية التي تُعنى بحقوق العمالة.[19]

[11] 'Labor Migration in the GCC Countries: Some Reflections on a Chronic Dilemna', *Middle East Institute*. Available at: https://www.mei.edu/publications/labor-migration-gcc-countries-some-reflections-chronic-dilemna (accessed 3 October 2023). Just under 1.3 million of the Emirate's population are Kuwaitis, 1.2 million are citizens of other Arab countries, approximately 1.5 million are Asian, 70,000 come from Africa and close to 40,000 from Europe, North and South America and Australia. See 'Kuwait', *The World Fact Book*. Available at: https://www.cia.gov/the-world-factbook/countries/kuwait/#people-and-society (accessed 3 October 2023).

[12] 'Statistics Revealed That 845,000 of Kuwait Expats Are Illiterate', *World Gulf*. Available at: https://gulfnews.com/world/gulf/kuwait/statistics-revealed-that-845000-of-kuwait-expats-are-illiterate-1.716180 72 (accessed 3 October 2023).

[13] 'Workforce Nationalization in the Gulf Cooperation Council States', *Center for International and Regional Studies*. Available at: https://www.files.ethz.ch/isn/141001/KasimRandereeCIRSOccasionalPaper9.pdf (accessed 3 October 2023).

[14] Nasra Shah, 'Second Generation Non-nationals in Kuwait: Achievements, Aspirations and Plans', *Kuwait Programme on Development, Governance and Globalisation in the Gulf States* 32 (London, 2013).

[15] 'Kuwait: The Life of Overseas Migrant Workers', *ECDHR*. Available at: https://www.ecdhr.org/?p=948# (accessed 3 October 2023).

[16] 'Statistics Revealed That 845,000 of Kuwait Expats Are Illiterate', *World Gulf*.

[17] 'Kuwait', *Integral Human Development*. Available at: https://migrants-refugees.va/country-profile/kuwait-2/ (accessed 3 October 2023).

[18] 'Migration Profile – Kuwait' Migrants Refugees', *Migrants Refugees*. Available at: https://migrants-refugees.va/wp-content/uploads/2021/05/Kuwait.pdf (accessed 3 October 2023); 'Forced Evictions: Kuwait's Dehumanising Campaign Targets Male Migrants', *Migrants-rights*. Available at: https://www.migrant-rights.org/2019/09/forced-evictions-kuwaits-dehumanising-campaign-targets-male-migrants/ (accessed 3 October 2023).

[19] Interview conducted on 4 August 2022. Interviewee requested to remain anonymous.

التنقل في المدينة

كذلك يؤدي عدم القدرة على التنقل في المدينة، إلى جانب الأنماط المختلفة للتنقل عبر أرجاء المدينة، وبطبيعة الحال المناطق الجغرافية المختلفة الموجودة على الأرض، إلى ظهور تفاوتات وفوارق اجتماعية واقتصادية، مما يؤدي إلى زيادة التفاوتات في هذا الصدد.

تعيش عاملات المنازل عادةً مع أصحاب عملهن الكويتيين في أحياء سكنية لا تخدمها في أغلب الأحيان شبكات النقل بالحافلات، والسبب أن الكويتيين يفضّلون وسائل النقل الخاصة، وهو ما أثّر على خطط النقل العام (أو اختفائها تماماً). كما أن غياب البنى التحتية للترفيه ومتاجر التجزئة بالقرب من الأحياء السكنية يستلزم القيام برحلات طويلة تجبر العمال على أحد أمرين، إما الاعتماد على أرباب عملهم أو 'التقليل جداً من' حركتهم،[20] علماً أن التنقل في المدينة يعتمد على سيارات الأجرة المكلفة مع احتمال التعرض للتحرش من جانب سائقي سيارات الأجرة الذكور.[21]

ولا يقتصر الخوف من التعرض للتحرش على العاملات الوافدات؛ إذ أشارت معظم من قابلناهن، وبصرف النظر عن الحالة الاجتماعية، إلى الطبيعة المتعلقة بالنوع الاجتماعي لمعظم الأماكن العامة، مما يعيق حركتهن، ولا سيما عندما يجدن أنفسهن وحيدات بين حشد من الرجال الغرباء.[22] وغالباً ما يُنظر إلى النساء على أنهن" في غير مكانهن"،[23] بغض النظر عن المكانة الاجتماعية والحدود الطبقية وبالرغم من تاريخ النشاط النسائي المعروف في البلاد، مما يجعل منهن هدفاً للمضايقات والتحرش في الشوارع والحدائق العامة ومراكز التسوق ووسائل النقل العام.[24] ويؤكد ذلك المبادرات الشعبية التي أُطلقت في هذا الصدد، ومنها حملة" لن أسكت" على الانستغرام.[25] ومن ناحية ثانية، تحدّ المكانة الاجتماعية، وكذلك مفاهيم" الشرف" و"العار" عند الآباء، من حركة النساء، مما لا يشجعهن على الخروج بمفردهن، ويكون الحل غالباً بأن تتعاقد الأُسرُ الميسورة مع أحد السائقين في المدينة. بينما أولئك الذين لا يستطيعون تحمل التكاليف – ومعظمهن من العاملات الوافدات – غالباً ما يواجهن التحرش في سيارات الأجرة ووسائل النقل العام، وحتى في الشوارع. وللتخلص من ذلك يلجأن للتنقل في المدينة برفقة نساء أخريات (صديقات أو زميلات في العمل)، أو سلوك مسارات طويلة غير مباشرة لتجنّب الطرق غير الآمنة. كما يسهم الطابع المتعلق بالنوع الاجتماعي (الجندر) في زيادة الفجوة بين القطاعين العام والخاص ويجعل مساحات واسعة من مدينة الكويت غير آمنة أو غير مريحة للنساء،[26] وهذا يؤدي لنشوء مناطق جغرافية يشوبها الخوف بين الجنسين، مما يعكس جزئياً الذكورية العدوانية التي تعتبر النساء العازبات أو غير المصحوبات بذويهن على أنهن" متاحات" و"يمكن الوصول إليهن"، ويتشكل هذا جزئياً من خلال وسائل الإعلام والخطابات المجتمعية التي

[20] Reem Alfahad and Muhammad Adeel, 'A Focused Look into Female Mobility in Kuwait', *LSE Middle East Centre Blog* (2020). Available at: https://blogs.lse.ac.uk/mec/2020/04/20/a-focused-look-into-female-mobility-in-kuwait/ (accessed 3 October 2023).

[21] 'Lone Female Riders Face Harassment by Cabbies, *Arab Times* (2012). Available at: https://www.pressreader.com/kuwait/arab-times/20121107/page/3/textview (accessed 3 October 2023).

[22] Nazanin Shahrokni and Spyros A. Sofos, 'Kuwait City and its Fragments', *LSE Middle East Centre Blog* (2022). Available at: https://blogs.lse.ac.uk/mec/2022/04/05/kuwait-city-and-its-fragments/ (accessed 3 October 2023).

[23] Zeynep N. Kaya, 'Women's Electoral Participation in Kuwait', *LSE Middle East Centre Kuwait Programme Paper Series* 11 (June 2021). Available at: http://eprints.lse.ac.uk/110877/2/Women_s_Electoral_Participation_in_Kuwait.pdf (accessed 5 October 2023).

[24] 'Women in Kuwait Launch Online Campaign Against Harassment', *Al Jazeera*. Available at: https://www.aljazeera.com/news/2021/2/9/anti-harassment-campaign-led-by-women-in-kuwait-gains-traction (accessed 5 October 2023).

[25] 'Lan.Asket @lan_asket', *Twitter*. Available at: https://twitter.com/lan_asket (accessed 5 October 2023).

[26] '"Kuwait is Unsafe for Women" Outrage Over Brutal Murder of Woman', *Al Jazeera*. Available at: https://www.aljazeera.com/news/2021/4/22/kuwait-is-unsafe-for-women-outrage-over-brutal-murder-of-woman (accessed 5 October 2023).

تعتبر الرجال، وخاصةً الوافدين الذكور، مصدر تهديد للنساء غير المصحوبات بذويهن.[27]

هذا ويؤثر التركيز على ملكية السيارات وترسيخ" ثقافة السيارات" على حركة العمال الوافدين الذين يواجهون قيوداً إدارية للحصول على تصاريح قيادة السيارات، مما يجبرهم على الاعتماد على نظام النقل العام الذي لا يناسب تأدية الغرض المنشود.[28] وعلى الرغم من المبادرات التي تشجّع على استخدام وسائل النقل العام، شدّد من قابلناهم على عدم موثوقية خدمات النقل بالحافلات، فضلاً عما تستغرقه من الوقت غير المتناسب المطلوب لتغطية مسافات قصيرة نسبياً.[29] تتعرج مسارات الحافلات عبر المدينة وتتوقف بشكل متكرر أمام مباني الشركات التي توظف ركابُها، فتتحول بالتالي رحلة الربع ساعة بالسيارة إلى رحلة بالحافلة مدتها ساعة واحدة، مما يزيد من ضيق الوقت إلى جانب العيوب الأخرى التي يواجهها الركاب.

وأشار من قابلناهم من ذوي الإعاقة أيضاً إلى الطبيعة الإقصائية للمدينة، بمعنى أن التصميم الحضري يواكب على استحياء حقوق واحتياجات الأشخاص من ذوي الإعاقة ولا سيّما في المناطق الوسطى من المدينة. أما في المناطق التي تقع في أطراف المدينة فيؤدي نقص الأرصفة أو عدم وجودها، فضلاً عن عدم وجود لافتات مناسبة للأشخاص من ذوي الإعاقة إلى صعوبة التنقل في المدينة. بالإضافة إلى أن مزايا الدولة (المتاحة للمواطنين فقط) لا تهدف إلى تنشئة أفراد مستقلين أيضاً، فبدلاً من أن يراعي تصميم المدينة الأشخاص من ذوي الإعاقات البصرية - من خلال التشاور الجادّ وإنشاء البنية التحتية اللازمة لتمكينهم من التنقل في المدينة بحريّة - يعرض عليهم إمكانية استئجار سائق أو مرشد. يشير من حاورناهم ممن ينتمون إلى شرائح متنوعة من سكان المناطق الحضرية، إضافةً إلى الملاحظات التي توصلنا لها إلى اختلافات كبيرة في المساحات المكانية، وتجربة التنقل عبر المدينة بين مستخدمي السيارات ومستخدمي وسائل النقل العام.

المواطنة الحضرية

إن استمرار التسلسل الهرمي وغياب المساواة في السياسات الكويتية ما بعد اكتشاف النفط ومشروع بناء الأمة يعني أن معظم سكان المدينة محرومون من" الحق في المدينة". يتضمن الحق في المدينة الحق في المشاركة في تشكيل واستخدام مساحات المدينة، والاستفادة من القوة الجماعية لإعادة تشكيل عمليات التحضّر. لكن التنمية الحضرية في الكويت أخفقت في التركيز على المدينة باعتبارها فضاء اجتماعي، فضلاً عن إخفاقها في النظر في مدى تأثير التغيير السريع والواسع النطاق المفروض من الأعلى على السكان الحضر. وجد غالبية سكان القلعة القديمة، الذين تم نقلهم بعد تنفيذ المخططات الرئيسية بمدينة الكويت، أنفسهم مجردين من البيئة المكانية والاجتماعية التي ألفوها في أحيائهم القديمة. صحيح أنهم وُطِّنوا في مساكن أحدث وأوسع في الضواحي الجديدة، لكنهم لم يُستشاروا أو يشاركوا في تصميم أو بناء تلك المساكن، ولا هي راعت احتياجاتهم. أما أولئك الذين لم يمنحوا الجنسية -البدون- فأصبحوا سكاناً حضريين مهمّشين بدون حقوق فعلية، مثلهم مثل السكان الوافدين الذين تتزايد أعدادهم بوتيرة سريعة والذين" تمّ إخراجهم من المدينة". يُعتُبر وجود هؤلاء" مؤقتاً" على الرغم من عدم وجود تاريخ محدد لانتهاء خدماتهم، وبالتالي عدم القدرة على الوصول إلى مساحات المدينة واستخدامها وانعدام حرية اختيار المكان الذي يعيشون فيه ويتجمعون ويتواصلون اجتماعياً.

[27] Gill Valentine, 'The Geography of Women's Fear', *Area* 21/4 (1989); Nour Almazidi, 'Queer Spatial Recognition in Kuwait', *Kohl: A Journal for Body and Gender Research*, 6(3) 2020.

[28] Alexandra Gomes, 'Urban Planning and its Legacy in Kuwait', *LSE Middle East Centre Blog* (2020). Available at: https://blogs.lse.ac.uk/mec/2020/04/23/urban-planning-and-its-legacy-in-kuwait/ (accessed 5 October 2023).

[29] Jassim Al Awadhi and Geoffrey Martin, 'Where The Bus At? Public Transportation Challenges in Kuwait', *LSE Middle East Centre Blog* (2020). Available at: https://blogs.lse.ac.uk/mec/2020/01/21/where-the-bus-at-public-transportation-challenges-in-kuwait/ (accessed 5 October 2023).

الشكل 2: المواطنة الحَضرية في الكويت: نظرة طبوغرافية

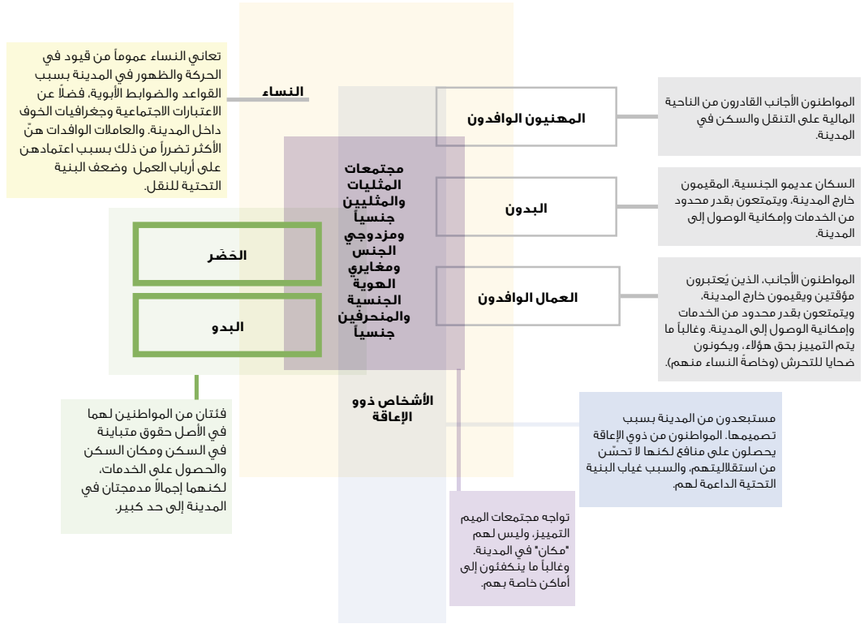

المصدر: استناداً إلى الأعمال المنشورة والبيانات المستمدة من المقابلات

إن التقسيمَ المكاني للبنية الهرمية للمجتمع الكويتي، ونظام الإدماج والإقصاء التفاضلي لشرائح مختلفة من السكان، يؤدي إلى تجزئة سكان مدينة الكويت ويؤطر الطريقة التي تسكن بها هذه الشرائح في المدينة وكيفية ارتباطهم بها وتفاعلهم معها. وقد أدى هذا المزيج من التجزئة وعدم المساواة إلى خلق مساحة حضرية مجزأة ومتباينة بالنسبة للكثيرين، إضافةً إلى افتقارها إلى المساحات العامة الآمنة والقابلة للاستخدام والتي يمكن الوصول إليها. كما تسهم وسائل النقل العام إلى جانب ازدياد عدد السيارات الخاصة في زيادة حدة التدهور البيئي. ومن نتائج ذلك أن شريحةً كبيرة من سكان المدينة لا يتمتعون حتى بالحقوق الأساسية للمواطنة الحضرية، مثل حق التملك، والحصول على الموارد والخدمات العامة ومنها التعليم، والحق في التعبير عن رأيهم بمدينتهم.[30]

لقد استبعد التخطيط الحضري في الكويت المناطق ذات الكثافة السكانية العالية التي تفتقر إلى البنية التحتية ويسكنها غير الكويتيين، كما تتكون أحياء البدون من مساكن" مؤقتة" ومكتظة ومنخفضة التكلفة وغالباً ما تفتقر إلى وسائل الراحة الأساسية. هذا وفضّل المخطط إنشاء" طرق" للسيارات التي تعبر المدينة على الشوارع التي يمكن المشي فيها وتسهم في ربط الجيران والمجتمعات.

[30] يتم الفصل بين المدارس العامة بحسب الجنسية والدين والنوع الاجتماعي (الجندر) والانتماء الثقافي والوضع الاقتصادي. وتعتمد مجانية التعليم على الوضع القانوني للمقيمين، مما يعني أن غالبية سكان البلاد يتعين عليهم الدفع مقابل إلحاق أبنائهم في نظام تعليمي متدني المستوى.

أشار من قابلناهم إلى أن عدم وجود أرصفة مناسبة للسكان الأصحّاء، ناهيك عما يعانيه الأشخاص من ذوي الإعاقة، إلى جانب المناطق السكنية التي تفصلها طرق سريعة دون تخصيص معابر للمشاة، الأمر الذي لا يشجع على المشي. وحتى بالنسبة لأولئك المصممين على المشي، فقد تؤدي الشوارع التي يسلكونها إلى طرق مسدودة نتيجةً لقيام المطوّرين أو السكان عديمو الضمير ببناء المناطق الخضراء أو تحويلها إلى مواقف للسيارات. كما ذكر من قابلناهم أن المتنزهات المحلية يمكن أن تُهمل لاحقاً، حيث تطغى عليها مشاريع التطوير الرئيسية المرتبطة بالمكانة والبعيدة عن معظم المناطق السكنية. ويتجلّى الفصل في المدينة بطرق مختلفة: أناس يعيشون ويتجولون ويعملون في المدينة، ولكنهم منفصلين عن الآخرين ويتقاربون أحياناً للاستمتاع بالمدينة، كلٌّ لوحده، لدرجة أننا يمكن أن نتحدث عن مجموعات مختلفة تسكن مناطق جغرافية حضرية مختلفة. وعندما تحدث لقاءات وتفاعلات عابرة لحدود الطبقة والمكانة، تكون عبارة عن معاملات لا تستلزم قيامهم بالتعرف على بعضهم البعض أو الانخراط في بناء مشاريع أو تبادل رؤى مشتركة. ثمة ندرة في المساحات التي يمكن للسكان فيها اللقاء و"التعارف" والتعلم من بعضهم البعض، وبالتالي التغلب على الانقسامات، وخاصةً ما يتعلق منها بوضع المواطنة والطبقة. إن فهم هذا التقسيم الطبقي والحرمان من حقوق المواطنة الحضرية يمثل الخطوة الأولى نحو الإدماج الفعلي في المدينة لهذه الفئات السكانية المستبعدة، وتحسين مساهمتهم في النمو الحضري.

نظرة إلى المدينة من قاعدتها الشعبية: لمحة طبوغرافية عن الممارسات

وعلى الرغم من أشكال التفتت التي أشرنا لها، يقوم سكان المناطق الحضرية في مدينة الكويت بتخريب الرؤى السائدة، ويؤكدون على تصورات مختلفة، والتي لا تراعي غالباً حقهم في المدينة، وتبتعد عن تنفيذ إجراءات وأعمال تهدف لإعادة تجميع أوصال المناطق الحضرية وإعادة ربطها ببعضها البعض.[31]

بعد أن قمنا بإجراء مسح لمجموعة من الممارسات والمبادرات التي جسّدت المطالبات بالمواطنة الحضرية، من خلال تحدي التصورات الرسمية للمدينة وصرامتها وتصلّبها في المناطق الحضرية من مدينة الكويت، قمنا باختيار عيّنة تمثيلية تتمحور حول ثلاث مجالات رئيسية:

أ. صنع المكان – الاستثمار الهادف في المساحات المادية من خلال استخدامها.

ب. إعادة تخضير المدينة من خلال إنشاء مساحات خضراء عضوية ومتجذرة في المجتمع ومستدامة وقابلة للتطبيق في أماكن أخرى.

ج. استعادة القدرة على التواصل الاجتماعي عبر الانقسامات الاجتماعية، إضافةً إلى إنشاء مساحات أكثر شمولاً للتواصل والتفاعل.

ولمثل هذه المبادرات العديد من الأبعاد، فهي أعمال تهدف للتأقلم والمنافسة على المساحة الحضرية، فضلاً عن التعبير عن الاحتجاج. وتُعتبر المنافسة بمثابة نظام إنذار للاختلالات والمشكلات المتأصلة في المدينة، وسبل تنظيمها وإدارتها. وهنا نقترح أن تكون هذه الممارسات أفعالاً تواصلية، تقدّم رؤىً مستنيرة حول كيفية إعادة تصوّر المدينة وإعادة بنائها، وسبل إنشاء مساحات يمكن للسكان الحضر استخدامها للتعبير عن رؤاهم وتفضيلاتهم، وحتى توجيه الانتقادات، ويمكن للسلطات سماعها والتعلم منها من أجل تحقيق الاستدامة بمشاركة المواطنين في المناطق الحضرية.

[31] See Farah Al-Nakib, 'Towards an Urban Alternative for Kuwait: Protests and Public Participation', *Built Environment* 40/1 (2014), pp. 101–17 for a discussion of the right to the city in the case of Kuwait.

ممارسات صنع المكان

على الرغم من أن محاورينا ينتمون إلى مشارب وفئات متنوعة، فقد حدّد معظمهم غياب الفضاء العام الذي يمكن التواصل معه ويمكن الوصول إليه باعتباره نقطة ضعف رئيسية. وشددوا على التركيز على مشاريع التطوير المذهلة، مثل ساحات الشركات غير المرحب بها أو العديد من المساحات العامة المفتوحة والبارزة مثل حديقة الشهيد كانت عبارة عن مساحة حضرية خاضعة لرقابة شديدة.[32]

إن مثل هذه الأماكن أبعد ما تكون عن الشمول، ففيها يتم تقييد التنوع ومراقبته بدقة، وقَرنه بالاستهلاك المفرط حيث يعتمد وجود الفرد على الوصفات الليبرالية الجديدة. وهي بمثابة مناطق حدودية إضافية في مدينة معزولة ومجزأة بالفعل، فضلاً عن أن التركيز على مشاريع التطوير المذهلة قد طغى على الحاجة إلى إنشاء مساحات عامة وخضراء يستفيد منها سكان الأحياء السكنية. وفي هذا السياق، يلجأ سكان المناطق الحضرية في الكويت إلى إعادة بناء تصوّرهم للمدينة أو تكييف وظائفها أو إعادة تخصيص نظامها الطبوغرافي. واجهنا خلال بحثنا في المدينة العديد من أنشطة صنع المكان باستخدام الأماكن الموجودة من أحياء ومبانٍ وحدائق وحتى المساحات الفارغة، وتحويلها إلى مساحاتٍ للقاءات والتفاعلات والمعاملات وبناء الذات والمشاركة مع الآخرين. وهنا سنركز على جزء بسيط من هذا الفضاء متعدد الأصوات. تعدّ مراكز التسوق أحد الأمثلة على الأماكن المستخدمة لخلق شعورٍ بالانتماء والأداء والتفاوض وتحدي الأعراف الاجتماعية، فالممارسات القائمة على المتفرج، كمشاهدة الناس في مراكز التسوق، شائعة بين الكويتيين وغير الكويتيين على حدّ سواء. وحول هذا لفت محاورونا إلى أنه في مدينة لا يمكن المشي فيها ويتعذر فيها الوصول إلى معظم الأماكن، ويستخدم فيها الناس السيارات الخاصة أو سيارات الأجرة للتنقل من المنازل الخاصة إلى أماكن العمل أو الترفيه، تندُر الفرص للقاء الناس والتفاعل مع بعضهم البعض ولو بشكل" سلبي".[33]

وبعيداً عن المشاهدة، هناك طرق أخرى أنجع للتفاعل، منها أن يراك الناس" متميّزاً" من خلال الملابس أو السلوك، و"الخروج" مع الأصدقاء. يعتبر محاورونا أن مراكز التسوق هي مساحات للتفاعلات الاجتماعية بقدر ما هي أماكن لشراء الحاجيات، حيث يفضّل معظم الشباب مقابلة بعضهم البعض، أو قضاء بعض الوقت معاً أو تكوين معارف جديدة. في حين أشار البعض إلى أن مراكز التسوق، وخاصةً تلك البعيدة عن أماكن السكن والعمل، تولّد شعوراً بالحريّة بعيداً عن التدقيق الأُسري، حيث إنها توفر لحظاتٍ من التحرر والاختفاء. وفي ظل غياب البدائل الأخرى، فإن عدم الكشف عن هويتك نسبياً وسط الحشود يجعل من مراكز التسوق أماكن مفضّلة للقاءات العابرة والاتصالات والمغازلات. في مدينة تفتقر إلى مساحات مفتوحة يسهل الوصول إليها لقضاء بعض الوقت، تتولى مراكز التسوق وظيفة الأماكن العامة، حيث يمكن للأشخاص من مختلف الأعمار والمكانة الاجتماعية والخلفيات التجمع" والرؤية والمشاهدة" ومقابلة الغرباء.

أما أكثر التدخلات وضوحاً في نسيج المدينة فيقوم بها المستبعَدون من تصميمها، أي العمال الوافدون والبدون. وهذا واضح لمن يزور مستوطنات البدون التي تتكون من وحدات سكنية مسبقة الصنع ومكتظة تتميز بطرقاتها الترابية وتفتقر إلى خدمات جمع النفايات أو قنوات تصريف المياه أو المرافق المحلية. في مستوطنة تيماء مثلاً، تعزّز شعور السكان المحليين بالحرمان من خلال اختراق طريقٍ سريع لمنطقتهم، مما ساهم في تقطيع أوصالها، أما الأماكن التي أدمجت في

[32] حديقة الشهيد هي أكبر مشروع للبنية التحتية الخضراء في الكويت. وهي جزء من سلسلة مشاريع لتطوير أبراج الشركات ومجمعات المراكز التجارية الضخمة، مثل مول الأفنيوز في منطقة الري. والحديقة مساحة منظّمة للغاية تقع بعيداً عن معظم المناطق السكنية في الكويت. ويُحظر في الحديقة شراء الأطعمة والمشروبات إلا من مطاعم الحديقة، ويُحظر القيام بالنزهات وركوب الدراجات وألواح التزلج، ولا يوجد فيها أماكن لعب للأطفال، ويُشترط الحصول على تصريح للقيام بأي نشاط يزيد عدد أفراده عن خمسة، باستثناء الأسر الشابة والأشخاص الذين لا يستطيعون أصلاً تحمل تكاليف استخدام المرافق التجارية في الحديقة.

[33] Douglas B. Holt, 'How Consumers Consume: A Typology of Consumption Practices', *Journal of Consumer Research* 22/1 (1995).

المدينة فقد حُرمت من التمتع بالمرافق والخدمات السابقة.[34]

لكن قام السكان المحليون بإنشاء نقاط تجمّع على تقاطعات الطرق الترابية، وهي مجهّزة بمقاعد ومظلات لاتّقاء أشعة الشمس، إضافةً إلى قيامهم بتصميم ملاعب مؤقتة للأطفال، الذين، بحسب رأي أحد السكان، لا يستطيعون الالتحاق بالمدرسة الفخمة على الجانب الآخر من الطريق السريع لأنهم بلا جنسية، وعوضاً عن ذلك يتعين عليهم السير لأكثر من عشرين دقيقة للوصول إلى مدرستهم التي تعاني من نقص في الموارد.

ويتجلّى الإبداع المكاني في حي مانيلا الصغير بالسالمية، الذي يبعد 15 كيلومتراً عن وسط مدينة الكويت، وهو وجهة شعبية للعمال الوافدين من الفلبين، الذين يرتادونه خلال أيام الإجازات للقاء الأصدقاء وسماع الأخبار.[35] كما يتردد على هذا الحي النابض بالحياة وافدون وكويتيون آخرون. يعجّ حي مانيلا الصغير بالأكشاك والمطاعم والمحال التجارية والأسواق الجديدة، حيث يتسكع الزوار أو يشترون المنتجات التي يحتاجونها أو يفتقدونها بأسعار أرخص. وتزيّن جدران الحي رسوم جدارية مُشرقة بلغة التاغالوغ، بعضها نتاج جهد تعاوني للفنانين المحليين، في حين يترافق المشهد الصوتي المزدحم في الشارع مصحوباً بالموسيقى الحيّة التي تنتقل في أرجاء السوق. يسهم تحويل هذا الحي إلى مركز اجتماعي وتجاري حيوي يضجّ بالأصوات ومشاهد الحياة بفعل العمال الوافدين في خلق شعور بالملكية على أجزاء من المدينة.

شاهدنا في جميع أنحاء المنطقة الحضرية بمدينة الكويت العمال الوافدين وهم يحوّلون محطات الحافلات والمواقف إلى مساحات عامة صغيرة عن طريق نشر أوراق مكتوبة بخط اليد لبيع قطع الأثاث أو غيرها من الأشياء لم تعد هناك حاجة إليها. كما يستخدمون هذه المساحات المؤقتة أو المتقطعة لنشر إعلانات تتعلق بمجتمعاتهم أو توجيه دعوات للمشاركة في محادثات حول الحياة في مدينة الكويت، وذلك أثناء انتظارهم للحافلات التي ليس لها موعد محدد. بينما يتجمع آخرون أثناء أيام الإجازة في مواقف السيارات أو في مراكز التسوق أو الأماكن المفتوحة غير المستغلة فيقومون باستغلالها وتحويلها إلى أسواق مؤقتة أو لحظية أو أماكن للراحة واللقاء.[36]

أحدُ هذه الأماكن التي يتم ذكرها بشكل متكرر هو" دوّار الشيراتون"، الذي يبعد عن حديقة الشهيد 3 كم، وهو يُعتبر نقطة التقاء للعديد من خطوط الحافلات، ويقع على مقربة من كنائس الطوائف المختلفة والمساجد والمحال التجارية الصغيرة، التي تجذب الكثير من العمال الوافدين أثناء أيام الإجازات. وعلى الرغم من تخصيصه ضمن المخططات الرئيسية للمدينة كمساحة عامة مفتوحة، إلا أن الكويتيين نادراً ما يعتبرون الدوار وجهةً تستحق الزيارة. إذ لا يعتبر معظم من يمرّ عبره من الكويتيين على أنه مكان للترفيه أو لقاء الأصدقاء. أما بالنسبة للعمال الوافدين الذين يعيشون في المدينة، فقد أصبحت هذه المساحة المهجورة نقطة التقاء عندما يتواجدون في الجوار لأداء صلواتهم أو لتناول وجبة سريعة في المحال الصغيرة لبيع الأطعمة في المنطقة. رأينا خلال زيارتنا أشخاصاً من مشارب ثقافية متنوعة يملأون ما كان يُعتبر مساحة مهجورة وفارغة، وقد قال لنا من تحدثنا إليهم إن أعمال التجديد التي نُفذّت في عام 2013، وهي جزء من مشروع أوسع لتحسين وجه المنطقة، قد جعلت المكان غير قابل للوصول إليه حتى أوائل عام 2014. وعلى الرغم من أنه ربما لم يعد مزدحماً كما كان عليه قبل بدء الأعمال، إلا أنهم قالوا إن" روّاده في أيام العطلة الأسبوعية" عادوا لإحيائه. وفي تناقض صارخ مع المساحات الخضراء المفتوحة و"المنظّمة"، شكّل دوّار الشيراتون بديلاً يسهل الوصول إليه، حيث قام" وافدو" الكويت الغرباء بإحيائه وإعادة كتابة تاريخه وتحويله إلى مكان للراحة واللقاء والتفاعل. وبعيداً عن هذه الطرق

34 Visit to Tayma (July 2022). The use of motorways to separate the *bidūn* from 'the rest' and keep them out of sight is common in the geography of urban Kuwait.

35 وفقاً لسفارة الفلبين، كان 250 ألف فلبيني يعيشون في الكويت عام 2018. بعد أن أثبتوا وجوداً ملحوظاً في المدينة، على عكس الوافدين من البلدان الأخرى، قامت العمالة المنزلية الفلبينية بإنشاء حركة قوية لمواجهة العديد من حالات سوء المعاملة. لمزيد من المعلومات انظر: 'Kuwait/Philippines: Protect Filipino Migrant Workers', *Human Rights Watch* (2018). Available at: https://www.hrw.org/news/2018/02/21/kuwait/philippines-protect-filipino-migrant-workers (accessed 5 October 2023).

36 Michel De Certeau, *The Practice of Everyday Life* (Berkeley: University of California Press, 1984), pp. 91–110.

العفوية في صنع الأماكن، ثمة تدخلات أكثر تنظيماً، ويمكن رؤية أحد الأمثلة في عمل منصة" المدينة"، التي تأسست في عام 2014 لتوثيق تطور المدينة وتشجيع سكان المدينة على الانخراط الفعال في ماضي المدينة وحاضرها.[37] قامت ديمة الغنيم بتأسيس منصة" المدينة"، وهي تشغل منصب المدير الإداري فيها. يُذكر أن ديمة خريجة كلية الهندسة المعمارية بجامعة الكويت، وهي موظفة سابقة في إدارة المخطط الهيكلي ببلدية الكويت، وقد استفادت في تطوير هذا المشروع من معرفتها الفريدة بالنهج المتبع في البلدية إزاء التخطيط الحضري.[38]

تقوم منصة" المدينة" بتنظيم جولات مشي منتظمة لاستكشاف العلاقة بين المجتمع والمدينة. وكان الهدف تنظيم جولات مجانية في نهاية المطاف، إذ اعتاد المشاركون على دفع رسوم تعادل 30–25 جنيهاً إسترلينياً، وهو مبلغ معقول بالنسبة للكويتيين من متوسطي الدخل ولكنه باهظ جداً بالنسبة لغالبية العمال الوافدين. هدفت الجولات إلى استحضار الذكريات المرتبطة بالمواقع التاريخية في المدينة، ولكنها عوضاً عن معايشة الحنين إلى فترة ما قبل النفط، اهتمت الجولات باستكشاف الهندسة المعمارية الحديثة في الكويت وتحديد جوانب من الهوية الحديثة للمدينة التي كان يتهددها خطر الهدم أو تركها للسقوط بفعل الإهمال. كما تم تصميم الجولات لتشجيع المشاركين على تصوّر السبل الكفيلة لإعادة إحياء المواقع التي كانت ضحية للتنمية المذهلة.

وفي مقابل سرعة عبور المدينة بالسيارة، طغت الوتيرة البطيئة للمشي، وما يرافق ذلك من معاينة وملاحظة ومناقشة وأنشطة" قم بصنع مكانك الخاص"، مع الإشارة إلى الميزات" المفقودة"مثل الأثاث الحديث والإضاءة والنباتات، التي تتخللها برامج تتعلق بالجولة، مما يوفر تجربةً حيّة وتفاعلاً مباشراً مع المدينة. سعت الجولات التي تقوم بها منصة المدينة إلى تكوين فهم حيال المدينة والمناطق المخططة فيها وجيوب الاستخدام العفوية في جنباتها والوقوف على سبل تكييف إعادة استخدامها. إن هذا التركيز على توظيف الممارسات المكانية كالمشي في المدينة وسيلة لإعادة تصوّرها، هو أمر بالغ الأهمية في عمليات إعادة تخيّل المنطقة الحضرية بمدينة الكويت.

كما أتاحت الجولات أيضاً فرصةً للتفاعل بين مختلف شرائح سكان المدينة، من خلال تضمين وجهات نظر كان من المستبعد الاطلاع عليها في مدينة مجزأة ومقطعة الأوصال. واكتملت هذه العناصر المتعددة بمعايشة المشاركين في الجولات للمناطق التي يعيش فيها سكان المدينة" الآخرين" وسكانها الفعليين. وبحلول عام 2017 تم تقليص برنامج المشي الخاص بمنصة" المدينة"، لكنها استمرت في توثيق تاريخ المدينة ومسارها المتوقع.

إعادة تخضير المدينة

تركز غالبية الجهود المبذولة لإعادة تصوّر مدينة الكويت وإعادة كتابة مسارها على التدخلات البيئية، ولا سيّما المبادرات التي تهدف إلى إنشاء مساحات خضراء في الأحياء. ومن بين أوائل هذه التدخلات من هذا النوع كانت" الحديقة السريّة" التي أُنشئت في عام 2013. كان في طليعة القائمين عليها مجموعة من المواطنين، من بينهم مريم النصف (ميمي) التي قامت بتأسيس أول سوق للمزارعين في الكويت، ألا وهي سوق شكشوكة. كان الهدف من الحديقة السريّة إنشاء مساحة خضراء تقدم الفائدة للمجتمع، فضلاً عن خلق شعور بالملكية الجماعية للمشروع. تقع الحديقة في حديقة عامة مهجورة إلى حد ما، مقابل شارع بغداد في منطقة السالمية التجارية والسكنية المختلطة، والتي تضم مبانيها السكنية وافدون من شبه القارة الهندية والبلدان العربية والفلبين. حصل فريق العمل في عام 2013 على إذن غير رسمي لاستخدام 2,000 متر مربع من الحديقة العامة لمشروع البستنة المجتمعي، ليشرع بعد فترة وجيزة في إعادة تشكيل المساحة المخصصة وإحيائها. لقيت الدعوات للمساعدة حماسة من المجتمع المحلي، سواءٌ في تنفيذ الأعمال أو في تأمين الأدوات والبذور.[39]

37 'Home Page', *Madinati*. Available at: http://www.madeenahkw.co/ (accessed 5 October 2023).

38 Interview with Deema AlGhunaim (25 July 2022).

39 Interview with Maryam Al-Nusif (8 August 2022).

وشهدت عطلات نهاية الأسبوع امتلاء الحديقة بالكبار والصغار ممن يسكنون الشقق القريبة والبعيدة، للمساعدة في طلاء الإطارات المهملة وتحويلها إلى حاويات ملونة لزراعة الأزهار والمنتجات العضوية. وقد أخبرنا المتطوعون أن المشروع زاد من حماسة الناس وعزّز الإحساس بالانتماء للمجتمع.

بُنيت الحديقة مع مراعاة الاستدامة إلى حد كبير، وذلك باستخدام المواد المعاد تدويرها وتطبيق ممارسات مستدامة مثل حصاد مياه الأمطار والتسميد واستخدام الطاقة المتجددة. ولم يكن التركيز مقصوراً على نباتات الزينة بل أيضاً على النباتات التي يمكنها إنتاج محاصيل، مهما كانت صغيرة، وكان لذلك أهمية كبيرة في ضمان قدرة المشاركين على الارتباط بشكل أكبر بالمساحة التي تحاول تجنب مصير الحديقة المهجورة التي تحتضن المشروع. بالإضافة إلى ذلك، فإن استراتيجيات دمج الحديقة في الروتين اليومي للناس قد تتضمن الإجابة على كيفية إنشاء مساحات عامة ترتبط بالناس وإعادة إحياء المساحات الموجودة وجعلها ترتبط بالأحياء والمجتمعات المحلية المجاورة. لقد كانت الحديقة السريّة أكثر من مجرد حديقة، حيث إنها كانت مكاناً يحتضن عروض الأفلام، وأنشطة الطهي، والتصوير الفوتوغرافي، والورش المسرحية، إضافةً إلى إقامة الحفلات الموسيقية.

ونتيجةً لوجودها على أرض السلطات المحلية، فقد واجهت الحديقة السريّة معارضةً بسبب طموحها المفرط وعدم امتثالها للوائح البيئية المحلية وغير ذلك. وقد أشار المتطوعون إلى أن اللّوم الرئيسي يرجع إلى الحديقة التي تستضيف سوق مزارعي شكشوكة، أي استخدام الأراضي العامة لأغراض تجارية وهو أمرٌ يحظره القانون. كما أن النشاط الشعبي المتمثل في إنشاء المشاعات خارج الفضاء العام هو أيضاً أمر تجد السلطات المحلية صعوبةً في فهمه.[40] وقد أصيب المتطوعون خلال مواجهة الأزمة بالإحباط، ولا سيّما بعد قيام الهيئة العامة لشؤون الزراعة والثروة السمكية بإزالة كافة قطع الأثاث التي صنعها المتطوعون واقتلاع النباتات، وأزالت بالطلاء كل الرسوم الفنية في الحديقة، وكسرت الأثاث الذي تعذّر إزالته، لتنتهي التجربة في عام 2016. وعلى الرغم من ذلك، خلقت المبادرة شكلاً من أشكال المعرفة بالحدائق الحضرية المستدامة، وزادت من مستوى الوعي حول الأثر الذي تحدثه المبادرات المدنية المحلية على زيادة المساحات الخضراء التي تحتاج المدينة إليها بشدّة.

انطلق مشروع آخر مختلف قليلاً في عام 2014 في الشامية، عندما حاولت نهى الخرافي وأديبة الفهد ومزنة المطيري تجنيد المقيمين لتحويل المساحة الفارغة في مركز شباب الشامية إلى حديقة محلية. وبدعم من عدد من الوزراء ومحافظ العاصمة، بدأوا العمل باستخدام مواردهن المالية الشخصية وبعض التبرعات، فتمت زراعة أولى الأشجار التي تلائم المناخ في الكويت. أدى المشروع إلى تطوير علاقة عمل أفضل مع الحكومة والهيئات الرسمية مقارنة بالحديقة السريّة، فالمشروع مسجل لدى وزارة الشؤون الاجتماعية ولديه مذكرة تفاهم مع مركز شباب الشامية، وبذلك كانت العقبات التي واجهها المشروع أقل بكثير.[41] وسرعان ما استقطب المشروع حوالي 40 متطوعاً من مختلف الأعمار والخلفيات العرقية الذين يتشاركون نفس الطموح لاستخدام المحمية منطلقاً لإنشاء نموذج زراعي وبيئي مستدام لتخضير المدينة واستصلاح الأراضي.[42] ووجد آخرون أن نموذج المحمية في العمل المجتمعي جذاباً، وأعجبهم علاقة التعاون التي كوّنها المشروع مع الهيئات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني.[43] يظهر أن المشروع يحقق هدفه الرئيسي المتمثل في نشر مفهوم التخضير المستدام للمدينة، ويتجلى ذلك في قيام سبعة مدارس في الشاميّة وجهات أخرى، بمن فيها فرق عمل في محافظة مبارك الكبير ومحافظة الجهراء، بالتعبير عن اهتمامهم بتطوير أماكن ومساحات خضراء أخرى.

40 Mary Dellenbaugh et al. (eds.), *Urban Commons: Moving Beyond State and Market* (Basel: Birkhäuser, 2015), p. 10.
41 Interview with Anas Burhama, Shamiya Garden (30 July 2022).
42 Interviews with Amira Al Hassan, Head of the United Nations Human Settlements Program, and Anas Burhama, Shamiya Garden (30 July 2022).
43 Interview with Ahmed Al-Saffar, Shamiya Garden (30 July 2022).

يبدو أن العمل البيئي أكثر نجاحاً في جمع أوصال المدينة وطائفة واسعة من سكانها، وقد أكّد متطوعو الحديقة الذين تحدثنا إليهم أن مثل هذه المشاريع هي محاولات لإعادة تصور المدينة وإظهار الإمكانات الكبيرة المتوفرة. تعبر المشاريع أيضاً عن رغبة سكان المدينة في أن يكون لهم رأي مسموع في شكل المدينة التي يريدونها، والتفاعل الخلاق مع مساحاتها مما يبرهن على أن البيئة تمثّل نقطة التلاقي التي يمكن فيها تحقيق" الاستدامة البيئية" و"الاستدامة الثقافية"، أي القدرة على الإبداع والعمل الجماعي.

استعادة التواصل الاجتماعي: التحولات في الديوانية وما بعدها

يتضمن أحد العناصر الرئيسية لإعادة كتابة مسار المدينة، التي تعكف عليها هذه الورقة البحثية، تجريب محاولات الرؤية والظهور. وقد أبدع الكويتيون في هذا المجال، إذ قاموا بتكييف وإعادة توظيف إحدى المؤسسات الرئيسية، التي كان لها دور مركزي في عمليات الاستماع والتفاوض، ألا وهي الديوانية.[44] لقد تغيرت المؤسسة على مرّ الزمن، من منتدى قبلي عشائري إلى ملتقى ذي طابع ديمقراطي أكبر، تكيّفاً مع الظروف الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت. فقد دأبت الديوانيات التي انتشرت في الكويت في عامي 1989 و1990 على يد نواب سابقين في مجلس الأمة على تنشيط الحياة السياسية في البلاد في الوقت الذي كان فيه مجلس الأمة معلّقاً.[45] وفي عام 2022 استضافت العديد من الديوانيات مجموعة من المشرّعين لممارسة ضغط على ولي العهد لتعيين حكومة جديدة بعد استقالة حكومة تصريف الأعمال في مواجهة مع مجلس الأمة.[46] أدت الحجج المؤيدة لاستمرار استبعاد المرأة من الحياة العامة والسياسية على الرغم من مشاركتها النشطة في المقاومة ضد الغزو العراقي عام 1990، إلى إطلاق الحملات التي تُوّجت بحصولهن على الحقوق السياسية في عام 2005. وكان من الأمور الحاسمة في هذه العملية تحويل الديوانية، التي كانت مشبعة بالتحيّز الأبوي إلى مساحة مفتوحة للنساء، حيث قامت عدة شخصيات عامة مثل صالح الملا، المشرّع المعارض وعضو المنبر الديمقراطي الكويتي وأحد من قابلناهم، بفتح الديوانيات أمام النساء، حيث تم استضافة السياسيات والطالبات والناشطات بصفة مشاركات ومتحدثات.[47] كما أسست نساءٌ من النخب والأوساط الليبرالية ديوانيات، بل وديوانيات مخصصة فقط للنساء.[48] وتدير سياسيات من أمثال الوزيرة السابقة للشؤون الاجتماعية والعمل، غدير العسيري، والمدافعة عن حقوق الإنسان والكاتبة وأستاذة الفلسفة بجامعة الكويت، شيخة الجاسم، ديوانيات مختلطة في محاولة لكسر احتكار الذكور للشبكات والمناقشات السياسية.[49] بلغت الجهود المبذولة لإنشاء مساحات مختلطة ومادية لإدماج المجموعات المهمّشة تاريخياً ذروتَها في عدة ديوانيات عابرة للثقافات في وقت مبكر من العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والتي حققت درجات متفاوتة من النجاح. أحد هذه المشاريع، الديوانية عبر الثقافات، التي أطلقتها مجموعة" إيكويت" التي تُعنى بتعزيز المساواة الاجتماعية للمقيمين في الكويت.[50] حدث ذلك في عام 2013 على يد فيصل الفهيد وليانه العوضي، وتمثلت مهمة المجموعة في" الارتقاء بالحوارات ورفع مستواها"، وكانت تعقد كل شهر منتدىً مفتوحاً يناقش

44 'Advice and Dissent in Kuwait', *Middle East Report*, 2003. Available at: https://merip.org/2003/03/advice-and-dissent-in-kuwait/ (accessed 5 October 2023).
45 Abrar Dahham Alshammari, 'Sociopolitical Narratives and Contestations in Kuwait's Creative Sector Post-2012' (Masters Thesis) (Georgetown University, 2019), p. 36.
46 'Kuwait Opposition Lawmakers Stage Sit-in to Press for New Government', *Reuters* (2022). Available at: https://www.reuters.com/world/middle-east/kuwait-opposition-lawmakers-stage-sit-in-press-new-government-2022-06-15/ (accessed 5 October 2023).
47 Interview with Saleh Al Mulla (28 July 2022).
48 Interview with Suhaila Behbhani and Nosaiba Al Rjaib, owners of women-only *dīwāniyya* (30 July 2022).
49 Interview with Ghadeer Al Aseeri (4 August 2022).
50 Pamella de Leon, 'Cross-Cultural *Diwaniya* Aims to Foster Open Dialogue On Social Issues In Kuwait' (2020). Available at: https://www.entrepreneur.com/en-ae/entrepreneurs/cross-cultural-diwaniya-aims-to-foster-open-dialogue-on/352714 (accessed 5 October 2023).

القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد يسّر التعاون مع مجموعات منها جمعية الشفافية الكويتية ومبادرة" كويت كوميوت" ترجمة النقاشات والتوصيات إلى مشاريع مقترحات سياسية ملموسة. لكنّ التقلّب في مستوى الحضور، والمنافسة مع" الديوانية الرقمية"، ومجموعات" الواتساب"، الذي ذكرها العديد من محاورينا، إلى جانب عمليات الإغلاق التي تسببت بها جائحة كوفيد-19، كلّها أثّرت سلباً على تجربة الديوانية الثقافية وأدت إلى تعليق عملها في عام 2021. كانت المساحات الرقمية أفضل حالاً لأنها لم تتطلب السفر أو التوجه نحو الموقع الفعلي. أصبحت هذه الأشكال الجديدة للحوار شائعة، وعلى اعتبار أنها لا تخضع للأعراف التي تحكم الديوانيات التقليدية فقد أضحت مساحات للتواصل الاجتماعي عبر الثقافات للرجال والنساء والشباب، وحتى المواطنين غير الكويتيين.

ورغم هذا، تظلّ العديد من الديوانيات مقتصرة على الأصدقاء والمعارف، وحتى لو كانت مفتوحة للجميع من حيث المبدأ إلا أنها معروفة في أوساط اجتماعية معيّنة فقط. في كل الأحوال، تبقى الديوانية مؤسسة شبه عامة مع وصول محدود نسبياً" للغرباء"، وخاصةً بالنسبة لغير الكويتيين ممن لا تتم دعوتهم. ويبقى النوع الاجتماعي (الجنس) والعرق والمكانة والطبقة يشكلون عراقيل أمام إدماج شريحة كبيرة من سكان المدينة. ومع ذلك، فقد استخدم عدد كبير من النساء هذه المنصات لطرح قضايا تتعلق بالمرأة، وعدد أكبر من ممثلي البدون وجاليات العمال الوافدين لإيصال أصواتهم من خلال هذه المنتديات. ولكن يلزم بذل المزيد من الجهود لتحويل هذه التجارب إلى مساحات حقيقية متعددة الأدوار، ذلك أنّ التقسيمات المكانية والإثنية والطبقية بين النساء، على سبيل المثال، أجهضت قيام مبادرات تناقش مشكلات شائعة كالتحرش. وبعيداً عن تجربة الديوانيات، ثمة مبادرات منها مبادرة" en.v"، التي تمثّل قطاعاً متنامياً من المجتمع المدني الكويتي، حيث تسهم هذه المبادرة، التي تقودها النساء، في جمع الأشخاص من مختلف المشارب لاستكشاف التحيّزات الشخصية والمجتمعية، والمساهمة في بناء الجسور، والتوثيق، وإيصال الأصوات والآراء غير المسموعة وغير المرئية لسكان المدينة.

وعلى النقيض من المنظمات والمؤسسات الخيرية الأقدم والأكثر رسوخاً، تسعى مبادرة" en.v" إلى إحداث تغيير عبر تعزيز وجود مساحات مدنية للاستماع للآراء الأخرى، والعمل ليس فقط على إبراز الاختلاف وإخراجه إلى النور وإنما وفقاً لوصف ألبيرتو ميلوتشي بـ" الحاجة الموازية للتغلب على العقبات وضرورة الاستمرار ببذل المزيد من الجهود للاستماع لأراء الآخرين من أجل فهم بعضهم البعض".[51]

إجمالاً، تعترف المبادرات التي تم فحصها بتنوع الحياة في المدينة وتأخذ على محمل الجدّ الحاجة لتطوير ممارسات أكثر شمولاً. تمثل التجارب المجزأة والمتعددة التي تشكّل الحياة في المنطقة الحضرية بالكويت تحدياً يحاول الجيل الجديد من الناشطين المدنيين التصدي له من خلال تغيير التجربة المكانية للحياة في الكويت إلى مخزن ومستودع للأفكار حول سبل إعادة التفكير في المدينة وجعلها أكثر إنصافاً وشمولاً وإدماجاً. وهذه المشاريع إنما هي أولى الخطوات نحو التغلب على التقسيمات التي تفتت المدينة وسكانها، علماً أن معظم الممارسات التي تم مناقشتها قد بدأها ناشطون من الطبقة الوسطى، وهي تجذب بشكل رئيسي مشاركين من الطبقة الوسطى، بمن فيهم أعضاء المجتمعات المحرومة في المدينة ممن يمتلكون رأس المال الثقافي اللازم والطبيعة اللازمة للتعامل معهم، وما يميّزهم أنهم يواصلون السعي للوصول إلى الوجهة الشاملة والتشاركية التي يرغبون بها.

[51] Alberto Melucci, *Challenging Codes: Collective Action in the Information Age* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), p. 162.

التوصيات: المشاركة في تصميم المدينة

بيّن الباحثون أهمية تجارب التصميم الديمقراطي، وإشراك الجماهير الناشئة في عملية إعادة تصوّر المدينة وإعادة بنائها وهذا من شأنه المساعدة في توجيه وإثراء ممارسات التخطيط الحضري وإعادة تكوين الأنظمة الاجتماعية والتقنية القائمة لتشجيع ودمج الفئات المتنوعة في عمليات التصميم الحضري.[52] ومن الجوانب المركزية في هذا البحث التركيز على استدامة وتوسيع نطاق ممارسات الإدماج والتكيّف المحلية التي تولي الاهتمام بمستوى الحي وتراعي التقسيم الطبقي الاجتماعي للمدينة والاحتياجات المتباينة للمواطنين ووجهات نظرهم. فالتخطيط الحضري والحوكمة الناجحان يعتمدان على إعادة ربط أوصال المدينة مع بعضها البعض والاستفادة من معارف سكانها وخبراتهم وممارساتهم من خلال عمليات التصميم التشاركي.[53]

يعتمد التصميم التشاركي على مشاركة المواطنين الحضريين في تطوير أحيائهم باعتبارهم خبراء لما يمتلكونه من تجارب شخصية، حيث يجمعون وجهات نظر مختلفة في بوتقة واحدة والاستنارة بها في عمليات التصميم والابتكار. وهذا يستلزم مستوى كبيراً من الانخراط والتفاعل مع مختلف المجتمعات التي تتكون منها المدينة، ووضع سياسات تشاركية أكثر شمولاً تحتاج إلى مراعاة العلاقة الوثيقة بين التمثيل والاعتراف وإعادة التوزيع فيما يتعلق بجميع المواطنين.[54] كما أنه يستلزم تصميم عمليات تشاركية أكثر شمولاً تدمج جميع المقيمين دون النظر إلى النوع الاجتماعي (الجندر) أو المكانة أو الطبقة أو العرق. ويُرجّح أن تطول هذه العملية في المناطق الحضرية بمدينة الكويت لأنّ تجزئة المدينة خلقت انقسامات بين السكان. وقد نجح المجتمع المدني على نحو متفاوت في تجربة المساحات الآمنة والعمليات المفتوحة بحيث يمكن أن تكون شريكاً لا غنى عنه عند بذل الجهود للتغلب على الانقسامات واستعادة الثقة.

ومن المؤكد أن عمليات التصميم التشاركي يمكن أن تغدو أكثر فاعليةً من خلال" الاستفادة" من العمليات التشاركية التي جرّبها سكان المدينة مثل ألعاب التصميم أو النماذج الأولية التقريبية أو سرد الحكايات، مما يخلق مساحات ترحّب بالجميع للقاء والتعبير عن تصوراتهم تجاه أحيائهم والمدينة، والإشارة إلى الاختلالات الموضعية في الإجراءات الحالية واقتراح الحلول المحتملة ودمجها في منهجيات التصميم التشاركي.[55] يمكن تسهيل عملية التعلم هذه من خلال دمج الأدوات" الإثنوغرافية" معاً لدراسة السبل الأقل وضوحاً التي يعيد من خلالها سكان المدينة تصميم مدينتهم وإعادة تكييفها وتأهيلها وفقاً لـ" تصوراتهم"، إلى جانب انتهاج ممارسات غير رسمية تتمثل في ارتياد أماكن معينة أو تخريب استخدامها، وفي نفس الوقت دعم الآليات الفعالة لحل النزاعات وتحقيق التحول المنشود الذي يعيش في ظلّه السكان وأصحاب المصلحة والسلطات معاً على اختلاف وجهات نظرهم وتباينها.

[52] Thomas Binder and Eva Brandt, 'The Design: Lab as Platform in Participatory Design Research', *CoDesign* 4/2 (2008), p. 115–29; Carl DiSalvo, 'Design and the Construction of Publics', *Design Issues* 25/1 (2009), pp. 48–63; Peter Munthe-Kaas and Birgite Hoffmann, 'Democratic Design Experiments in Urban Planning – Navigational Practices and Compositionist Design', *CoDesign* 13/4 (2017).

[53] Munthe-Kaas and Hoffmann, 'Democratic Design Experiments in Urban Planning'.

[54] Katie Collin set al., 'Designing on the Spikes of Injustice: Representation and Co-design', in Daniela Sangiorgi and Alison Prendiville (eds.), *Designing for Service: Key Issues and New Directions* (London: Bloomsbury, 2017).

[55] Co-Design methodologies include co-labbing. See Emma Puerari et al., 'Co-Creation Dynamics in Urban Living Labs', *Sustainability* 10/ 6 (1893, 2018). Drop-in tents in areas where redesign is considered where visitors are invited to furnish streets; walking tours where participants are invited to mark what is missing from routes or experimenting with temporary urban furniture to enable users to redesign an area. The important element here is to institute processes of, not only listening, but of working together. See Arkın A. Efeoğlu and Charles Møller, 'Redesigning Design Thinking for Codesign with Nondesigners: A Method Efficiency Perspective', *Design Science*, 9/E14 (2023).

والتصميم التشاركي يعني تغيير النهج المتّبع من التصميم لصالح سكان المدينة إلى التصميم معهم وبمشاركتهم، ويشتمل على قبول فكرة أنّ الممارسات التي تُعتبر هامشيةً، مثل بناء مساحات خضراء متعددة الوظائف، أو إعادة تنشيط المساحات المهجورة أو إتباع ممارسات غير مألوفة مثل جولات المشي، أو الاستماع لروايات سكان المدينة المهملين والمتجاهَلين، والتي كلها تلخّص وتحدّد فعلياً الاحتياجات والمشكلات والحلول.[56] يتطلب مثل هذا النهج أن يتقبل صنّاع السياسات" المتجاوزين" و"المحرّضين" كمحاورين، فالتفكير التشاركي يتناقض مع التخطيط الحضري الذي يقوم به الخبراء خلف أبواب موصدة، والذين في أفضل الأحوال يشركون المجتمع فيه عن طريق بيانات المسح.

قد يقدم التصميم التشاركي مجموعة من المزايا لأفراد المجتمع، منها تشجيع العامّة وإشراكهم في عملية التصميم الحضري وضمان تعدد الأصوات، وهي ميزة متأصلة في الفضاء الحضري. وحتى لو تحقق ذلك، فمن الممكن أيضاً نشوب خلافٍ أو حتى صراعٍ بين الخبراء وغير الخبراء، أو بين أصحاب المصلحة والعامّة، خاصةً إذا كانت نتائج عمليات التصميم التشاركي مبنية على منطق المحصّلة صفر. ولذلك من الأهمية بمكان التأكد من أن مشاريع التصميم التشاركي موجهة نحو تصميم وإنتاج" الأهداف المحددة" والعمليات المشتركة. وينبغي أن يكون المشاركون قادرين على اكتشاف نقاط التوافق ونقاط التباين بين مختلف طرق التفكير والمعرفة، والعمل على توليد التوافقات وتحويل وتغيير التباينات، وتشجيع التواصل عبر مختلف الوسائط المتاحة وبين مختلف الأوساط الاجتماعية.[57]

ولتحقيق ذلك، يحتاج مسؤولو التخطيط والخبراء والناشطون الشعبيون وأصحاب المصلحة إلى" إعادة التدريب" لتبنّي المزيد من عمليات التصميم القائمة على الحوار من جهة، والانفتاح على فكرة الشراكة من جهة ثانية. كما يحتاج مسؤولو التخطيط إلى النظر إلى المبادرات المدنية بوصفها موارد قيّمة ومسارات نموذجية لحلول مستدامة لا بوصفها 'مصادر إزعاج' متقلبة. كما يحتاج الناشطون على المستوى الشعبي إلى التفكير فيما هو أبعد من مجتمعاتهم والبحث عن نقاط التوافق فيما يتعلق بالتصورات والرؤى الأخرى، والتي تعتبر شرطاً أساسياً للوصول لعمليات التصميم التشاركي، التي تعني الملكية المشتركة التي من شأنها تشجيع عملية التصميم والتنفيذ، ومراعاة كيفية ارتباط الناس بالمدينة والقيام بالتعديلات المناسبة لبنائها.

إن تصميم مثل هذه الاستراتيجيات والعمليات شرطٌ ضروري من منطلق أن المواطنين ومشاركتهم هما الضامن لملاءمة التخطيط الحضري واستدامته. ويجب أن تسترشد هذه التدابير بما يلي:

أ. إعادة تدريب شامل لمسؤولي التخطيط لتمكينهم من تبنّي عمليات التصميم القائمة على الحوار، والانفتاح على فكرة الشراكة، والنظر إلى المبادرات المدنية بوصفها موارد قيّمة ومسارات نموذجية لحلول مستدامة وليس بوصفها" مصادر إزعاج" غير مناسبة.

ب. انتهاج طرق أكثر مرونة لتصور المساحات وإدارتها؛ فالعديد من النزاعات بين السلطات والناشطين المحليين سببها الفهم الصارم للمساحات، والعجز عن قبول الأنشطة المشتركة في الفضاء العام، وانتشار ثقافة" الشرطة" التي تتولى إدارة ذلك.

ج. إتباع نهج أكثر ارتباطاً بالمجتمع المحلي في التخطيط الحضري على مستوى المدينة؛ إذ توفر المقاربات المدنية المحلية وإن لم تكن شاملة بالضرورة، مقترحات قيّمة للتدخلات الصغيرة في الفضاء الحضري المعقد وكذلك تصورات مثيرة للاهتمام حول سبل إنشاء مساحات عامة مستدامة ومرنة وجذابة.

---

[56] Elizabeth Sanders, 'From User-centered to Participatory Design Approaches', in Jorge Frascara (ed.), *Design and the Social Sciences: Making Connections* (London: CRC Press, 2002).

[57] Elizabeth Sanders and Pieter Jan Stappers, *Convivial Toolbox: Generative Research for the Front End of Design* (Amsterdam: BIS, 2014).

الخاتمة

ارتبط تصميم المساحات الحضرية في الكويت بالتطلع إلى تحويل الإمارة إلى رمز للحداثة الحضرية، والابتعاد جذرياً عن ماضي الكويت الحضري والريفي. إن غياب السكان المحليين، سواء كانوا من السكان الأصليين أو الوافدين، عن عمليات تخطيط المدينة، يعني أن تصميم المدينة يرافقه قصور في فهم تحديات الخطط الحضرية وسبل إدماج المواطنين الحضر في المدينة كسكان أو عمال أو مسافرين أو زوار. علاوةً على ذلك، أدى الفهم الصارم للمساحات واستخداماتها إلى ظهور مدينة تواجه صعوبةً في التكيّف مع التركيبة المتغيرة لسكانها واحتياجاتهم.

كانت الغاية من هذا المشروع هي:

أ. التعرف على جوانب التعددية التي تميّز المنطقة الحضرية بالكويت، والاطلاع على تصورات السكان البديلة لمدينتهم.

ب. الإشارة إلى غياب الأصوات والتصورات" العامّة" من سياسات وتصورات المدينة التي يضعها وينفذها صنّاع السياسات ومخططو المناطق الحضرية، ورصد التوترات التي تنشأ عن هذه الأهداف والمفاهيم المتميزة للمدينة.

ج. استكشاف السبل التي يمكن أن يستفيد منها التخطيط الحضري من تصورات" العامة" للمدينة.

ومن الواضح أن هناك حاجة لإجراء المزيد من البحوث لإعداد خريطة أشمل للتصورات البديلة للمدينة، وإجراء تحليل أعمق من قبل أصحاب المصلحة والجهات المعنية، ورغم ذلك فقد نجح هذا المشروع في تحديد ما يلزم لجمع الفئات المتنوعة ومخططي المناطق الحضرية معاً، وتسهيل رفع مستوى الوعي حول الرؤى والحلول المتباينة أو المتضاربة، وإطلاق تدابير عملية لحل النزاعات وتصميم السياسات وتنفيذها.

هناك الكثير مما يمكن تعلّمه حول سبل كسر ثقافة الوجود المفتت، وكيفية التعامل مع المجتمعات، إضافةً إلى وجود كمية هائلة من الخبرات والتجارب التي تنتظر توسيع نطاقها وتكرارها في سائر أنحاء المدينة، فضلاً عن وجود الكثير مما يمكن القيام به في حال تبنّت السلطات فكرة العمل المدني وتعاونت مع الناشطين ودعمتهم مالياً.

هناك الكثير مما يتعين القيام به لإنشاء مدينة شاملة تحتضن الجميع وترحّب بهم، وتنبع رؤاها وتصوراتها من تطوير آفاق مشتركة تشمل جميع المواطنين. في هذا الصدد، يمكن أن تشتمل عمليات صنع السياسات التشاركية والتصميم التشاركي على أنشطة المجتمع المدني النابضة بالحياة والأعمال غير الرسمية لإعادة تصميم المدينة من الأسفل إلى الأعلى وإدراجها في عمليات التخطيط الحضري وإدارة المساحات الحضرية في مدينة الكويت.

منشورات برنامج الكويت المتوفرة باللغة العربية

زينب المعراج، "إمكانية الوصول الرقمي عبر مشهد تطوير البرمجيات في الكويت"، أيار/ مايو 2024.

سام ميجياس، رانية النقيب، عبد الله الخنيني، رنا خزبك، "هويات المواطنة الشبابية في الكويت: دور التربية الوطنية و الديوانيات"، نيسان / أبريل 2024.

أندري أوتسين، سمية البنا، باسل الزغول، صادق ضمرة، "كويت أكثر صداقة للبيئة: كيف من الممكن للسيارات الكهربائية أن تخفض من انبعاث غاز ثنائي الكربون "، نيسان / أبريل 2024 .

ببي العجمي، "جاهزية الكويت للتحول نحو الاقتصاد القائم على المعرفة"، كانون الثاني/ يناير 2024.

أثناسيا ستيليانو كاليتزي، أحمد العوضي، سليمان القدسي، تريفور ويليام تشامبرلين، "تنويع الصادرات والنمو الاقتصادي في الكويت: أدلةٌ من السلاس الزمنية وتحليلات المسح الميداني"، كانون الثاني / يناير 2023 .

عبد الله الابراهيم، "الأمراض غير السارية ومخاطر دخول المستشفيات للعلاج في الكويت: نهج يمكن تعميمه باستخدام المسح الصحي العالمي القائم على السكان"، كانون الثاني / يناير 2023 .

دين شريف شارب، أبرار الشمري، كنوال حميد، "حالة الطوارئ الهادئة: تجارب تغير المناخ ومفهومه في الكويت"، تشرين الأول / أكتوبر 2022

دو يونغ أوه، هيون بانغ شين، "تحديد أزمة الإسكان في الكويت وارتباطها بالدولة والأرض والمجتمع"، آذار / مارس 2023

محمد عديل، ريم الفهد، "نحو نظام نق عاد ومنص في الكويت: فهم السياق الاجتماعي والثقافي لاستخدام وسائل النقل"، تشرين الأول / أكتوبر 2022.

مسؤولة التحرير
نسرين الرفاعي

تصميم
ربال سليمان حيدر

صورة الغلاف
باص يمر أمام شقق سكنية في وسط مدينة الكويت، الكويت.
© Dominic Dudley / Alamy Stock Photo

مركز الشرق الأوسط
كلية لندن للاقتصاد و العلوم السياسية
المملكة المتحدة

@LSEMiddleEast
@lsemiddleeastcentre
lse.middleeast
lse.ac.uk/mec

The views and opinions expressed in this publication are those of the author(s) and do not necessarily represent those of the London School of Economics and Political Science (LSE), the Middle East Centre or the UK Foreign, Commonwealth and Development Office (FCDO). This document is issued on the understanding that if any extract is used, the author(s) and the LSE Middle East Centre should be credited, with the date of the publication. While every effort has been made to ensure the accuracy of the material in this paper, the author(s) and/or the LSE Middle East Centre will not be liable for any loss or damages incurred through the use of this paper.

The London School of Economics and Political Science holds the dual status of an exempt charity under Section 2 of the Charities Act 1993 (as a constituent part of the University of London), and a company limited by guarantee under the Companies Act 1985 (Registration no. 70527).